

## تفسير البحر المحيط

@ 229 @ وهذا النداء والخطاب بالأمر هو استعارة مجازية ، وعلى هذا جمهور الحذاق .  
وقيل : إن ا□ تعالى أحدث فيهما إدراكاً وفهماً لمعاني الخطاب . وروي أن أعرابياً سمع  
هذه الآية فقال : هذا كلام القادرين ، وعارض ابن المقفع القرآن فلما وصل إلى هذه الآية  
أمسك عن المعارضة وقال : هذا كلام لا يستطيع أحد من البشر أن يأتي بمثله . وقال ابن عباس  
في قوله : وقضي الأمر ، غرق من غرق ، ونجا من نجا . وقال مجاهد : قضي الأمر بهلاكهم ،  
وقال ابن قتيبة ، قضي الأمر فرغ منه ، وقال ابن الأنباري : أحكمت هلكة قوم نوح ، وقال  
الزمخشري : أنجز ما وعد ا□ نوحاً من هلاك قومه . واستوت أي استقرت السفينة على الجودي ،  
واستقرارها يوم عاشوراء من المحرّم قاله : ابن عباس ، والضحاك . وقيل : يوم الجمعة ،  
وقيل : في ذي الحجة . وأقامت على الجودي شهراً ، وهبط بهم يوم عاشوراء . وذكروا أن  
الجبال تناولت وتخاشع الجودي . وحديث بعث نوح عليه السلام الغراب والحمامة ليأتياه بخبر  
كمال الغرق ا□ أعلم بما كان من ذلك . .

وقرأ الأعمش وابن أبي عبيدة على الجودي بسكون الياء مخففة . قال ابن عطية : وهما لغتان  
، وقال صاحب اللوامح : هو تخفيف ياء النسب ، وهذا التخفيف بابه الشعر لشذوذه ،  
والظاهر أن قوله : وقيل بعداً من قول ا□ تعالى كالأفعال السابقة ، وبنى الجميع للمفعول  
للعلم بالفاعل ، وقيل : من قول نوح والمؤمنين ، قيل : ويحتمل أن يكون من قول الملائكة ،  
قيل : ويحتمل أن يكون ذلك عبارة عن بلوغ الأمر ذلك المبلغ وإن لم يكن ، ثم قول محسوس .  
ومعنى بعد إهلاكاً يقال : بعد يبعد بعداً وبعداً إذا هلك ، واللام في اللقوم من صلة  
المصدر . وقيل : تتعلق بقوله : وقيل ، والتقدير وقيل لأجل الظالمين ، إذ لا يمكن أن  
يخاطب الهالك إلا على سبيل المجاز . ومعنى ونادى نوح ربه أي : أراد أن يناديه ، ولذلك  
أدخل الفاء ، إذ لو كان أراد حقيقة النداء والأخبار عن وقوعه منه لم تدخل الفاء في فقال  
: { إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا \* قَالَ رَبِّ وَالْوَاوُ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ لَا تَرْتَبُ أَيْضًا ، وذلك أن هذه القصة كانت أول ما ركب نوح السفينة ،  
ويظهر من كلام الطبري أن ذلك من بعد غرق الابن . وفي قوله : إن ابني من أهلي ، ظهور أنه  
ولده لصلبه . ومعنى من أهلي أي : الذي أمرت أن أحملهم في السفينة لقوله : { اذْمُرْ  
فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَئِيْنٍ اِثْنَيْنِ وَأَهْلًا كَثِيْرًا } ولم يظن أنه داخل فيمن استثناه  
ا□ بقوله : إلا من سبق عليه القول منهم لظنه أنه مؤمن وعموم قوله : ومن آمن يشمل من آمن  
من أهله ومن غير أهله ، وحسن الخطاب بقوله : وإن وعدك الحق ، أي الوعد الثابت الذي لا

شك في إنجازهِ والوفاء به ، وقد وعدتني أن تنجي أهلي ، وأنت أعلم الحكام وأعدلهم . .  
قال الزمخشري : ويجوز أن تكون من الحكمة حاكم بمعنى النسبة ، كما يقال : دارع من  
الدرع ، وحائض وطالق على مذهب الخليل انتهى . ومعنى ليس من أهلك على قول من قال : إنه  
ابنه لصلبه أي الناجين ، أو الذين عمهم الوعد . ومن زعم أنه ربيبه فهو ليس من أهله  
حقيقة ، إذ لا نسبة بينه وبينه بولادة ، فعلى هذا نفى ما قدّر أنه داخل في قوله : وأهلك  
، ثم علل انتفاء كونه ليس من أهله بأنه عمل غير صالح . والظاهر أن الضمير في أنه عائد  
على ابن نوح لا على النداء المفهوم من قوله : ونادى المتضمن سؤال ربه ، وجعله نفس العمل  
مبالغة في ذمه كما قال : وإنما هي إقبال وإدبار ، هذا على قراءة جمهور السبعة . وقرأ  
الكسائي : عمل غير صالح جعله فعلاً ناصباً غير صالح ، وهي قراءة : علي ، وأنس ، وابن  
عباس ، وعائشة ، وروتها عائشة وأم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم ) ، وهذا يرجح أن  
الضمير يعود على ابن نوح . قيل : ويرجح كون الضمير في أنه عائد على نداء نوح المتضمن  
السؤال أن في مصحف ابن مسعود أنه عمل غير صالح إن تسألني ما ليس لك به علم . وقيل :  
يعود على الضمير في هذه القراءة على ركوب ولد نوح معهم الذي تضمنه سؤال نوح المعنى :  
أن كونه مع الكافرين وتركه الركوب مع المؤمنين عمل غير صالح ، وكون الضمير في أنه  
عائداً على غير ابن نوح عليه السلام تكلف وتعسف لا يليق بالقرآن . قال الزمخشري : ( فإن  
قلت ) : فهلا قيل إنه عمل فاسد ؟ ( قلت ) : لما نفاه من